

سفير

٤



الحَمَّالُ وَالكَنْزُ
وَقَصَص أخرى

إعداد وتحرير

سمير حلبى — عبد الحميد توفيق
سلامة محمد سلامة — سمير الشيخ

رسوم

إسماعيل دياب

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لشركة سفير

٥ ش جزيرة العرب - المهندسين - القاهرة. ص.ب: (٤٢٥) الدقى

الجندي والقائد

يُحكَى أن الصحابى الجليل أبا موسى الأشعرى وقف يوزِّع الـغنائم على جيش المسلمين بعد الانتصار فى إحدى المعارك وعندما توقف أمام أحد الجنود قال له :

- خذ هذه الغنائم أيُّها الجندى .

نظر الجندىُّ إلى نصيبه وقال : أهذا كل حقى من الغنائم أيُّها القائد ؟

فقــال أبو موسى : لا ، بل هو جـزء منه فانتظر حتى نـوزِّع ما تبقَّى من غنائم علـى الجنود جميـعًا ويأخذ كل جندى ما أخذت ثم إن بقى شىء أعطيناك ما تبقَّى من حقِّك .

رفض الجندى كلام القائد وأصرَّ على أن يأخذ نصيبه كاملاً قبل أن تُقسَّم الغنائم ، وحاول أبو موسى إثناء الرجـل ولكنه صـمم علـى موقفـه واحتار أبو مـوسى فيـما يفعـله مع هذا الجندى فهل يعطيـه ما يطلب؟! ولكن كيف سيقدِّر نصيبه وهو لم يوزع الغنائم على بقية الجيش؟! وإذا قدَّر نصيبه وظهر أنه أكثر من حقه فماذا يفعل ؟ وهل يجوز لجندى أن يعـصى أمر قائده؟!. إن مثل هذا الجندى لابد من عقابه ؛





حتى يتعـلم هو وغيره من الجنود أن طاعة القائد واجبة .

أمسك أبو موسى بعصًا وضرب بها الجندى ، وأمر بحلق شعره .

غضب الرجل مما فعله أبو موسى ؛ فأرسل إلى خليفـة المسلمين عمر بن الخطاب يشكو أبا موسى ، فأرسل عُمَرُ بن الخطاب إلى أبى موسى يأمره بأن يدع الجندىَّ يقـتص منه . فينصاع أبو موسى لأمر قائده ويرسل إلى الجندى ويعطيه العصا وأدوات الحلاقة ويقول له :

- اقتص لنفسك منى فقد أرسل الخليفة إلىَّ يأمرنى بذلك .

وينظر الجندىُّ إلى قائده وهو لا يكاد يصدِّق ما يحدث . فـها هو قائد الجيش يجلس أمام جندىٍّ من جنوده ؛ ليقتص منه دون أن يعصى أمر قائده خليفة المسلمين ، وعند ذلك أدرك الجندىُّ أنه قد أخطأ فى حق قائده عندما رفض الانصياع لأمره ؛ فتقدم من أبى موسى وقال :

- أرجو أن تسامحنى على خطئى يـا سيدى . وقد عفوت عن حقى ، ولن أعود إلى عـصيانك مرةً أخرى .



الواثقة في الله

يُحكَى أن عبد الله بن عباس خرج فى عام من الأعوام لأداء فريضة الحج واصطحب معه بعض غلمانه . ووسط الصحراء القاحلة أحس ابن عباس ببعض التعب من شدة الجوع فأمر الغلمان بالتوقف وإحضار الطعام . ولكنه وجد أن الغلمان تغيّر لونهم وأخذ بعضهم ينظر إلى بعض فى دهشة؛ فسألهم عن السبب ، فقال أحدهم :

- لقد نفد الطعام يا سيدى ، ولم يعد لدينا شىء نأكله .

ابتسم ابن عباس وقال : إذًا فاذهبوا وابحثوا عن طعام فسوف يجعل الله لنا مخرجًا .

وانطلق الجميعُ يجوبون الصحراء طولا وعرضًا بحثًا عن طعام ، ويستمر البحث ويشتد الجوع بالجميع ، وفجأة يصيح أحدُهم ، انظروا هناك .. هناك توجد خيمة .

ويسرع الجميع فرحين إلى تلك الخيمة فيجدون أمامهم امرأة فقيرة فيسألها أحدهم قائلا :

- أيتها المرأة الفاضلة هل عندك طعام يباع ، فقد ألمَّ بنا الجوع ، وأتعبتنا حرارة الشمس .

وتستمع المرأة إلى الغلام فتهب واقفة وتقول : لا يا بنى ، ولكن عندى طعام لأبنائى فخذوه واذهبوا به .

فيقول الغلام : لا .. لا يا سيدتى ، بل نأخذ النصف فقط . ونترك الباقى لأبنائك .

وتفكر المرأة قليلا وتقول فى نفسها :

أعطيهم نصف الطعام ؟! هل سيكفيهم؟! أيكون هذا هو حق الضيف الذى أمرنا به رسول الله ﷺ؟

لا .. لا



ثم تلتفت إلى الغلمان وتصرُّ على إعطائهم كل ما عندها من طعام دون أن تعرف من هم .

ويعلم ابن عباس بالأمر فيرسل إليها ثم يقول فى نفسه :

– يا لها من امرأة كريمة ! أفى وسط هذه الصحراء القاحلة تعطينا ما عندها من طعام ؟ هكذا يكون إكرام الضيف . ولابد من مكافأة تلك المرأة على إحسانها .

وينتبه ابن عباس على صوت يخبره بأن المرأة حضرت . فيلتفت إليها ويسألها عن حالها فتقول :

– أحمد الله على ما أنا فيه ، فأنا قانعة بالقليل ، أنام مطمئنة البال لا أحمل حقدًا ولا أعول همًّا ، ثقةً منى فى ربى .

ويتأثر ابن عباس ويقول لها : وماذا ستفعلين مع أبنائك عند عودتهم .

ويتغيَّر وجه المرأة خجلاً وتقول : أرجو أن تسكت عن هذا الكلام فإنه يفسد المروءة ، وأنا لا أحبُّ أن أفسد مروءتى .

ويزداد إعجاب الجميع بالمرأة وجودِها ويرسلُ ابن عباس إلى أبنائها ويقول لهم :

هذه بعض الأموال هدية لكم .

فيقول الأبناء : ما هذا ؟! أموالٌ كثيرةٌ . هل نأخذ جزاءَ إحسان أمِّنا ؟ أهكذا يكون الكرم ؟! نفعل شيئًا ابتغاء وجه الله ثم نأخذ ثمنًا له !! لا لن نأخذ هذه الأموال .

ويصر الأبناء على موقفهم ، ولكن ابن عباس يصر على إعطائهم الأموال ، وأمام إصرار ابن عباس تقبل المرأة وتوزِّع الأموال على أبنائها ويعودون إلى خيمتهم برزق ساقه الله إليهم جزاء إحسانهم .

الحَمَّالُ وَالكَنْزُ

يُحكَى أن رجلاً حمَّالا من أهل الكوفة خرج يومًا ليبحث عن عمل ؛ فأخذ يتنقل بجِماله من مكان إلى مكان ، حتى أوشك اليوم على الانتهاء دون أن يجد عملا ، فهمَّ بالعودة إلى بيته حزينًا مهمومًا ، وفى طريق عودته قابله رجلٌ عجوز وعرض عليه أن يحمله إلى بلده على أن يعطيه أموالا كثيرةً .

فوافق الحمَّال وانطلق بالعجوز وظلا يسيران من بلد إلى بلد. وبعد عدَّة أيامٍ أُصيب العجوزُ بمرضٍ شديدٍ فنادَى على الحمَّالِ وقال :

- اسمع يا بنى : إنى أشعرُ باقترابِ أجلِى وأحبُّ أن أعقد معك صفقةً إن نفذت كلَّ ما فيها سيكونُ خيرًا كثيرًا لك .

اندهش الحمَّال من كلامِ العجوزِ وقال : إذًا أخبرنى عن صفقتِك أيُّها الشيخ .

قال الشيخُ : إذا كتبَ الله لى الشفاءَ وعدتُ إلى أهلِى سالما فسوف أعطيك أموالا كثيرة ، أمَّا إذا مت فاذهب إلى مكان كذا وادفنِّى هناك وسوف تجد قصرًا عظيمًا ، احفر بجوار بابه من الدَّاخل وستجد كنزًا احمل منه ما تستطيع ولا تعد إليه مرةً أخرى .

اندهش الحمَّال من كلامِ العجوزِ ، ولكنَّه أخذَ يمنِّى نفسَه بذلك الكنز العجيبِ وتمرُّ الساعاتُ ويموت الشيخُ ؛ فيسرع الحمَّال ويدفنه فى المكان الذى دله عليه ، ثم يدخلُ القصرَ ويحفرُ تحت البابِ ، وبعد فترةٍ قصيرةٍ يفاجأُ الحمَّالُ بكنزٍ لم ير مثلَه ، فأحضرَ جمالَه وحَمَلَ عليها كل ما يستطيعُ حملهُ



ورحلَ عائدًا إلى بلده . وفى الطريقِ أخذت الأفكارُ تدورُ فى رأْسِ الحمَّـالِ وبدأَ يحدِّث نفسَه ويقول:
- لماذا تركتُ بقية الكنز ؟ كان يجب علىَّ أن آخذ الكنز كلَّه فهو حقِّى، وقد تعبتُ فى استخراجه ولا يجبُ أن يحصل على بقـية هذا الكنز غيرى ، وسـوف أعودُ لأحمل ما تبـقَّى منه لأصبحَ أغنى رجل فى الكوفةِ .

وظلَّ الحمَّالُ يحدِّث نفسَه حتى عزم على العـودةِ إلى القصرِ لأخذِ ما تبقَّى من الكنز ، وأهمل وصيَّة العجوز له . وقام بربط جمالِهِ فى مكانٍ بعيدٍ عن أعـينِ الناسِ ثمَّ عادَ مسرِعًا إلى القصرِ ، وما إنْ وصلَ إليه حتى فوجئ بأنَّ الكنز قد اختفى ولم يبق منه شىءٌ ؛ فأصيبَ بـخيبة شديدةٍ وعادَ إلى جماله ليأخذها بما عليها من أموال ومجوهرات . وما إن وصل الحمال إلى المـكان حتى صُعِق فالجمالُ قد اختفت والكنزُ قد ضاعَ ، وظل الحمَّال يجوب الصحراء ذهابًا وعودة بحثًا عن جـمالِهِ ولكنَّه لم يجد شيئًا ، وفقد جِمالَه وكنزَه بسببِ طمعهِ وحبِّه للمال .

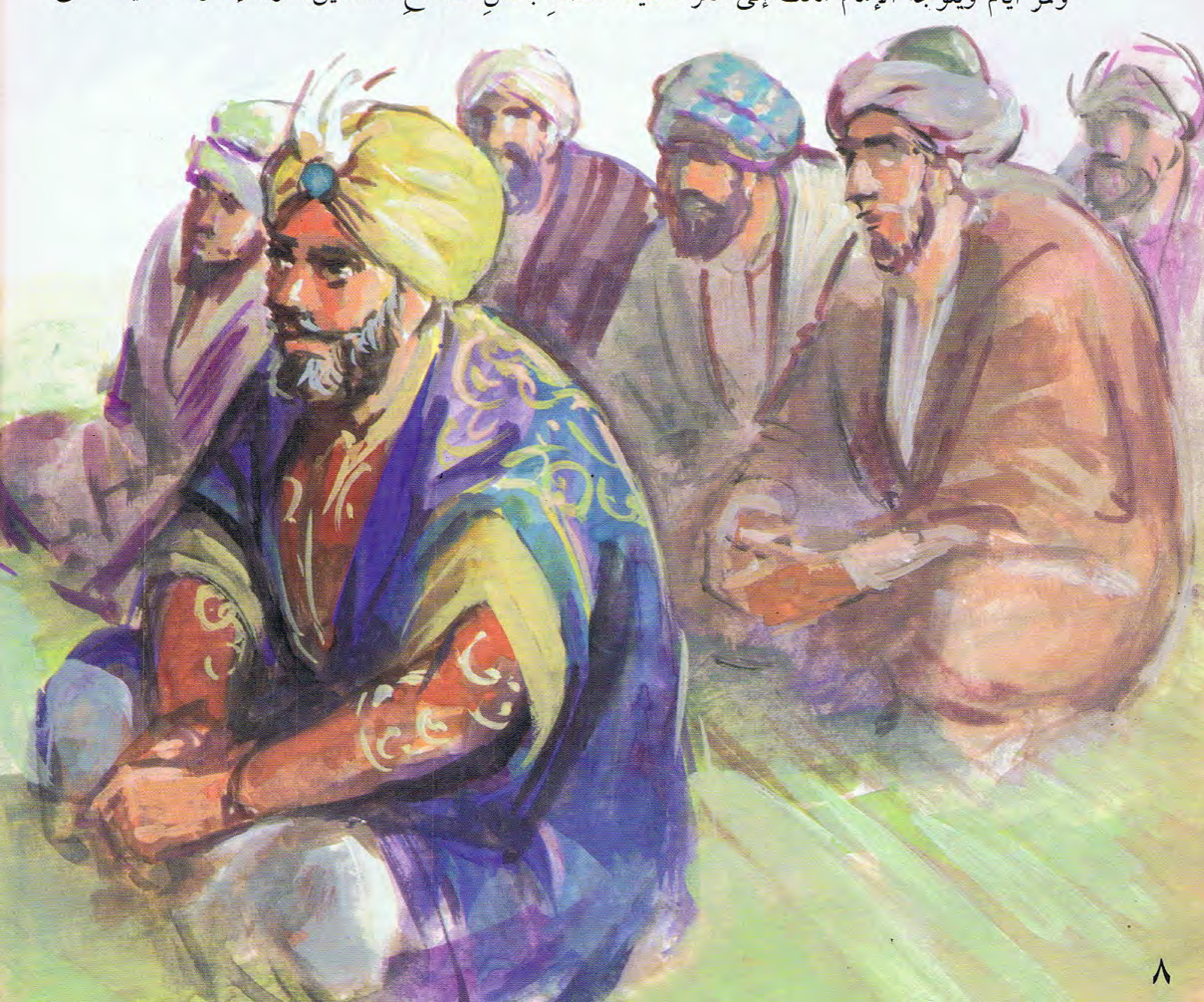
مَالِكٌ والرَّشيدُ

يُحكَى أنَّ خليفةَ المسلمين « هارون الرشيد » ذهبَ إلى المدينةِ المنوَّرة يومًا ليتفقَّدَ أحوالَ المسلمين ؛ واجتمعَ فى قصرِ الخليفةِ وسمعَ منهم عن كتابِ الموطأ الذى ألَّفه الإمامُ مالكٌ فى عِلْمِ الفقه ، وأرادَ الخليفةُ أن يستمع إلى الكتاب فأرسل إلى الإمام مالك يطلب منه الحضور ، وعندما وصلَ رسولُ الخليفةِ إلى الإمام قال له :

- ابلغ خليفة المسلمين أنَّ العِلمَ يَسْعَى إليه طُلابه ولا يسعى هو إليهم .

وعاد الرسولُ إلى الخليفةِ وأخبرهُ برد الإمام ، فأحسَّ الخليفة بأنه أخطأ فى حق الإمامِ مالكٍ فقال : لقد أصابَ الرجلُ وأخطأتُ .

وتمرُّ أيامٌ ويتوجَّه الإمامُ مالكُ إلى مقرِّ الخليفة لقضاءِ بعضِ مصالحِ المسلمينَ، وما إن رآه الخليفة حتى





هبَّ واقفًا ومرحِّبًا بالإمام مالك وقال له:

- أرجو أن تسامحنى أيُّها العالمُ الجليلُ ، فلولا انشغالى بمصالحِ المسلمينَ لأتيتك .

ابتهج الإمامُ من قولِ الخليفةِ وقال : جـزاك اللهُ خيرًا يا أمير المؤمنين . ووالله إنى ما فعلت ذلكِ إلا ليرفع الخليفة من شأن العلم والعلماء .

ابتسم الرشيد ثم استأذن الإمامَ مالكًا أن يذهب معه إلى بيته ؛ ليستمعَ إلى علْمِهِ ، وهناك أجلسه الإمامُ مالكٌ بجوارِه وأخذا يتحدثان فى أمور المسلمين ، وبعد وقتٍ قليلٍ توافَدَ طلابُ العلمِ على بيت الإمامِ مالكٍ وجلسوا على الأرض ، وأراد الإمامُ أن يلقى درسَه عليهم فنظر إلى الخليفة وقال :

- يا أمير المؤمنين إن كنتَ تريدُ الاستماع إلى العلمِ فاجلس بجوارِ هؤلاء .

تبسم الرشيدُ وقال : سمعًا وطاعةً يا شيخنا ، فنحن أحق بالتواضعِ للعلمِ والعلماءِ .

بناتُ الخليفةِ

يُحكَى أنَّ عمرَ بنَ عبد العزيزِ كان يعيشُ قبل تولِّيه الخلافة عيشةً هانئةً مترفةً ؛ يتنعم فيها بكل أنواعِ النعيمِ الدنيـوى ، يلبسُ أفخـرَ الثيـابِ ويأكلُ أطيبَ الطعامِ ويسكنُ أجملَ القـصورِ ، وظل على هذه الحالِ حتى تولَّى الخلافةَ ؛ فتبدَّل حالُه ، فـعاش حياة الزهد والتقشف هو وأسرتُه حرصًا منه على مرضاة الله ـ تعالى ـ وحفاظًا على أموال المسلمين .

وفى أحدِ أيَّام العيدِ دخلت عليه بناتُه وطـلبن منه أن يشـتـرى لهن بعضَ الثـيابِ بعد أن بليت ثـيابُهُنَّ ولا يوجـد عندهن غـيـرُها ، وتأثر الخليـفةُ من كلامِ بناتـه بعد أن رأى حـالَهُنَّ ، فـرقَّ قلـبُـه ونادى على خازنِ بيتِ المالِ وقال له :

- هل أسـتطيع أن آخـذ راتب الشهـرِ القادمِ ؛ لأشتـرى به ثيابَ العيدِ لبناتى؟

فقال الخازن : يا أميرَ المؤمنين، وهل ضمنت أن تعيش إلى الغدِ ؟!

فقال الخليفة : لا .

فقـال الخازن : فكيف تـضمن أنَّك ستعيشُ شهرًا ؟



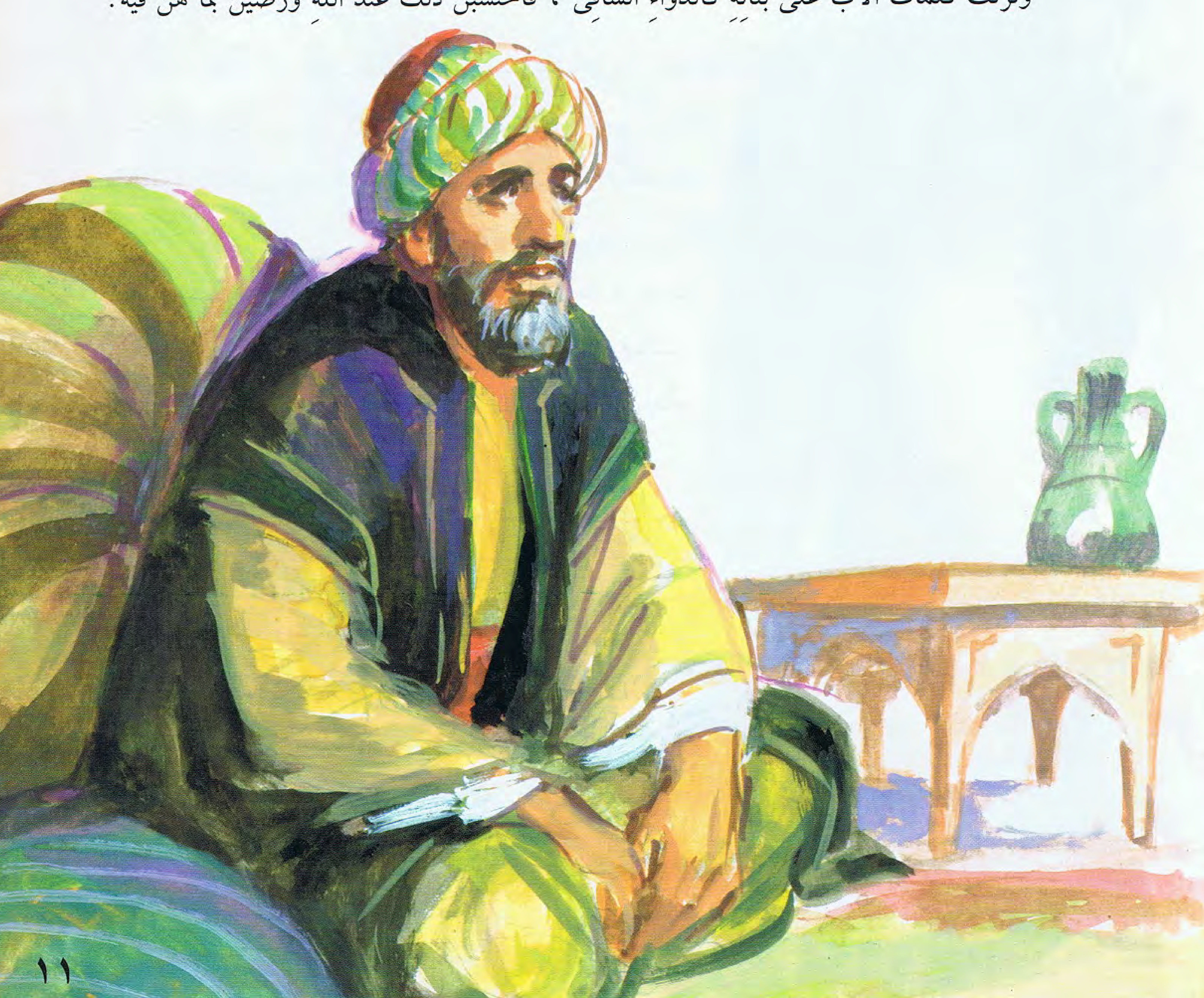
أفاقَ الخليفةُ من كلامِ الرجلِ وابتسمَ وقال :

صدقتَ واللَّهِ ، وباركَ اللهُ فيك .

ثمَّ التفتَ إلى بناتِه وقال :

« أرجو أن تصبرْنَ على ما أنتنَّ فيه فاصبرْنَ واحتسبْنَ ذلك عند اللَّهِ ، فإنِّى أرجو اللَّهَ أن تكنَّ من أهلِ الجنةِ فإنَّ الجنَّة طريقها صعبٌ وعسيرٌ ، أما الدُّنيا فسهلةُ المنالِ بما فيها من شَهَواتٍ وملذَّاتٍ ولكنَّها سريعةُ الزوالِ ... » .

ونزلت كلماتُ الأب على بناتِهِ كالدواءِ الشافِى ، فاحتسبْنَ ذلك عند اللَّهِ ورضين بما هُنَّ فيه .



دِينَارٌ وَلَدَ دِرْهَمًا

يُحكَى أنَّ أشعبَ - أحدَ أذكياءِ العربِ ولطفائِهم - جاءته امرأةٌ ذات يومٍ بدينارٍ وقالت :

- يا أشعبُ ، هذا الدينارُ هو كلُّ ما أملكُهُ فى هذه الحياةِ ، وقد جئتكَ به لتحفظه لى حتى أحتاج إليه .

ابتسم أشعبُ وقال : حسنًا يا سيدتى ، وسوف أقوم على رعايته لكِ حتى تعودى .

تعجبت المرأةُ من كلامِ أشعبَ ثم عادت إلى بيتها ، وجلس أشعبُ يفكِّر فى حيلةٍ يستطيع أن يستولى بها على دينار تلك المرأة ، فقام ووضع درهمًا بجوار الدينار .

وبعد عدَّةِ أيَّامٍ جاءت المرأةُ إلى أشعبَ وسألته عن دينارها فاستقبلها مهنئًا ومباركًا وقال لها : إن دينارك قد ولد درهمًا بالأمس فاذهبى وخذى الدينارَ وابنه وليبارك الله لك فيهما .

تعجبت المرأةُ من كلام أشعبَ وقامت ونظرت فوجدت درهمًا بجوارِ الدينارِ ففرحت وأخذت الدرهم وقالت لأشعب : سوف آخذ الدرهم وأترك لك الدينار لعلَّه يأتينى بذريَّةٍ صالحة .

وانطلقت المرأةُ إلى بيتها وهى سعيدةٌ ، ثم عادت بعد أيَّامٍ فوجدت درهمًا آخر فأخذته ثم عادت مرةً ثالثةً فوجدت أشعبَ وقد احمرت عينه من شدةِ البكاء فسألته عن الأمر فقال لها بصوت يملؤه الحزن :

- اصبرى يا سيدتى ، فقد مات دينارُك أثناء ولادته صباحَ اليومِ وقد حاولت جاهدًا أن أُنقذه ولكن إرادة الله نفذت فمات أثناء النفاس .



جزعتْ المرأةُ من كلام أشعبَ وقالت والحزنُ يكسو وجهها :

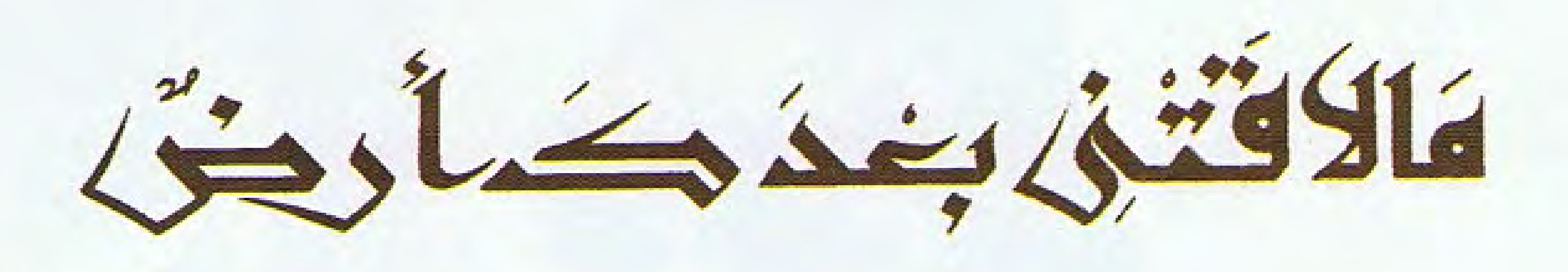
– أى نفاس يا رجل ؟ وهل للدينار نفاس ؟ أتحسبنى مجنونة يا أشعب؟

نظر أشعبُ إلى المرأةِ فى غيظٍ شديدٍ وقال :

– لا بارك اللَّهُ فيكِ أيَّتُها المرأةُ . تصدقين بأنَّ الدينارَ يلدُ، ولا تصدقين بأن له نفاسًا ؟!

هبت المرأةُ واقفةً وقالت : ويحك يا أشعب ، ردَّ علىَّ دينارى وإلا شكوتك إلى القاضى .

خاف أشعب من كلام المرأةِ وأسرعَ بإحضارِ دينارِها بعد أن أخذَ دراهمه . فأخذتِ المرأةُ دينارَها ومَضَتْ .



مالاقتنى بعدك أرضٌ

يُحكَى أنَّ « هارونَ الرشيدِ » كان جالسًا فـى يوم من الأيَّام فى قصره وسط جماعةٍ من النَّاس فدخل عليه حاجِبُهُ وأخبره بأنَّ « الأصمعى » عالمَ اللغـةِ الشهيرَ يطلب الإذن له بالدخولِ ، فقال الرشيد :

- دعه يدخل أيُّها الحاجبُ ، فنحن لم نره منذ زمن بعيد .

دخل « الأصمعى » على الخليفةِ هارون الذى قال له :

- أين كنتَ طوال هذه الفترةِ يا أصمعى ؟

فقال الأصـمعى : ما لاقتنى بعـدك أرضٌ يا خليفةَ المسلمين .

لم يفهم الرشـيدُ مـا يقصدُهُ الأصـمعى ، وظهر عـلى وجهه حـرجٌ شديدٌ ولكنَّه تـبسم وانتظر حـتى انصـرف الحاضـرون . وأراد الأصـمـعى الانصراف معـهم فاستوقـفه الرشيدُ وقال له :

- ماذا كنت تقصد بقولك : «ما لاقتنى بعدك أرضٌ» يا أصمعى ؟

فـقال الأصـمـعى : أردت أن أخـبـرك بأننى لم أجـد راحـتى واسـتقـرارى إلا فى بلدٍ فيـه أميـرُ المؤمنين .



قال الرشيد : قولٌ بليغٌ يا أصمعى ، ولكن ما كان يليق بك أن تتحدث بكلام غيرِ مفهومٍ فى حضرة أميرِ المؤمنين حتى لا يبدو أمام النَّاس بأنَّه جاهلٌ فيسخروا منه ؛ فتسقط هيبته فى عينِ رعيَّته .

أحس الأصمعى بخجلٍ شديدٍ مما فعلَهُ وقال :

- أرجو المعذرةَ يا أميرَ المؤمنين ، فما كان يليق بى أن أتحدث بهذا الكلامِ فى حضرةِ خليفةِ المسلمين وهذا درسٌ لن أنساه أبدًا .

الغلام والكلب

يُحكَى أنَّ عبد الله بن جـعفر بن أبى طالب خرج يومًا ليتـفقدَ ضيعةً له فاشـتد به التعبُ ، وأرادَ أنْ يستريح ؛ فوجد بسـتانًا يحرسُهُ غلام أسـود اللونِ ، فاستأذنه عبـد الله فى أن يستريح بعض الوقت فأذن له الغلام ، ونام عبد اللـه . وبعد أن قام من نومه رأى الغلامَ يمسِكُ ثلاثَةَ أرغـفة بيده ، وقبل أن يضَعَ اللقمةَ الأُولى فى فـمِهِ أتى كلبٌ هزيلُ الجسم يلهثُ من شدة الجوعِ ؛ فـألقى إليه الغلامُ برغيفٍ فالتـهمه الكلبُ ولكنَّه ظلَّ يلهثُ فألقى إليـه الغلامُ بالرغيفِ الثانى فالتـهمه وظلَّ على حاله فـألقى إليه بالرغيفِ الثالثِ فـأكله الكلبُ ثم ذهب ، وعاد الغلام إلى مكان حـراسته وتعجبَ عـبدُ الله بن جعـفر من صنيع الغلامِ فنادى عليه وقال له :

أيُّها الغلام ، هل يعطيك سيدُك غيرَ تلك الأرغفةِ التى أطعمتها الكلب؟

قال الغلامُ : لا يا سيدى .

قال عـبد الله : ولماذا ألقيتَ طعـامك إلى الكلب ولم تبق شيـئًا منه لنفسك ؟

-قال الغلام : لأننى لم أر هذا الكلب من قبل ، وأظنُّ أنَّه قد جاء



من مكان بعيد ، وما دفعه إلى وقوفه أمامى إلا شدةُ جوعِه وعطشِه ، فكرهت أن يعود إلى مكانه دون أن يأكل فأعطيته طعامى ؛ لأننى أستطيع الصبر على الجوع إلى الغد أمَّا هو فمن يعلم منذ متى لم يأكل أو يشرب

ابتسم عبد الله بن جعفر للغلامِ وحيَّاه على صنيعِهِ وأخذ يحدِّث نفسه ويقول :

يا لرَوْعة هذا الغلام الكريم ، إنَّ مثل هؤلاء هم الذين بشَّرهم النبىُّ ﷺ بالجنَّة . ووالله إنَّ هذا الغلام لهو أجود منِّى وأكرمُ ولابد من مكافأته على صنيعه .

وقام عبدُ الله وذهب إلى صاحب البستان واشترى منه الغلام والبستان ثم عاد إلى الغلام وقال له :

– لقد اشتريتُك من سيِّدِك فاذهبْ فأنت حرٌّ لوجهِ اللَّهِ ، وهذا البستانُ هديَّةٌ منِّى إليك فخذه فهو ملكك جزاء إحسانِك وعطفِك على الحيوان .

اجعلها في كفي

يُحكَى أنَّ أبا دلف - أحدَ كرماءِ العربِ - مرض مرضًا شديدًا أفقده الوعى فترة طويلة أفاق بعدها فعلم من خادمه أنَّه ظلَّ شهرًا كاملا فاقدًا للوعى ، فامتلأت عينه بالدموع وقال لخادمه بنبرةٍ يملؤها الحزن والأسى :

- شهرٌ كاملٌ وأنا على هذه الحال . . لا حول ولا قوة إلا بالله .

رأى الخادمُ بكاءَ سيده فأراد أن يخفف من آلامه فقال له :

- هوِّن عليك يا سيدى ، فسوف يمنُّ الله عليك بالشفاء إن شاء الله .

نظر أبو دلف وقال : يا هذا ، إننى لا أبكى من شدة المرض ، وإنَّما أبكى لأننى لم أفعل خيرًا منذ شهر كامل ، فاخرج يا بنى ، وابحث عمن له حاجة لعل الله يجعلنا سببًا فى قضائها .

مضى وقت من الزمن ثم عاد ومعه عشرة رجال يبدو عليهم الفقر الشديد ، فدخلوا على أبى دلف وألقوا عليه السلام فرد عليهم أبو دلف التحية ورحَّبَ بهم ، ثم سألهم عن حاجتهم فقال أحدهم بصوت خافت يملؤه الخجل :



- لقد حلت بنا وبقومنا المصائب والشدائد ولا نجد ما يعيننا على مشقَّة الحياة، وقد جئناك ؛ فإن عاونتنا فجزاك الله خيراً ، وإن لم تفعل فليعنَّا الله على ما نحن فيه .

استمع أبو دلف إلى كلام الرجال حتى انتهوا فنادى على خادمه وطلب منه أن يحضر ألفى ألف درهم ويعطى كل واحدٍ من العشرة مائتى ألف درهم . ففعل الخادمُ ما أمره به سيده .

فرح الرجالُ فرحًا شديداً لهذا الأمر ، وشكروا أبا دلف وقبل أن يهموا بالخروج نادى عليهم أبو دلف قائلا :

- أيُّها الناس ، ليكتب كل واحدٍ منكم ورقةً بما أخذه من مال .

نظر الرجالُ إلى أبى دلف فى دهشة وقال له أحدهم :

- إننا والله لا نملك شيئًا .

فبكى أبو دلف وقال : أتظنون أننى سآخذ تلك الأوراق وثائق عليكم . . لا والله ولكنى أردتها فى كفنى لألقى بها ربى لعلَّها تكون سببًا فى دخولى الجنَّة .

نَصيحةٌ غَاليةٌ

يُحكَى أنَّ أحد الصالحين كان يسيرُ يومًا مع بعض أصحابه فشاهد شابّاً وسيمًا تظهر عليه علامات الغنى وهو يسير مزهواً فى غرور ، وعندما رأى أصحابُ الرجلِ الصالحِ ذلك الشاب اندفعوا نحوه فى غضب ولكنَّ الرجل الصالح استوقفهم وقال لهم: لا تؤذوا ذلك الشاب ، وسوف أذهب أنا إليه .



تعجب الرجال من كلام الرجل الصالح ونظر بعضهم إلى بعض وقالوا:

- وماذا سيفعل الرجل الصالح مع هذا الشاب المغرور ؟ لابد وأنه سوف يؤنِّبه ويوبِّخه على فعله هذا .

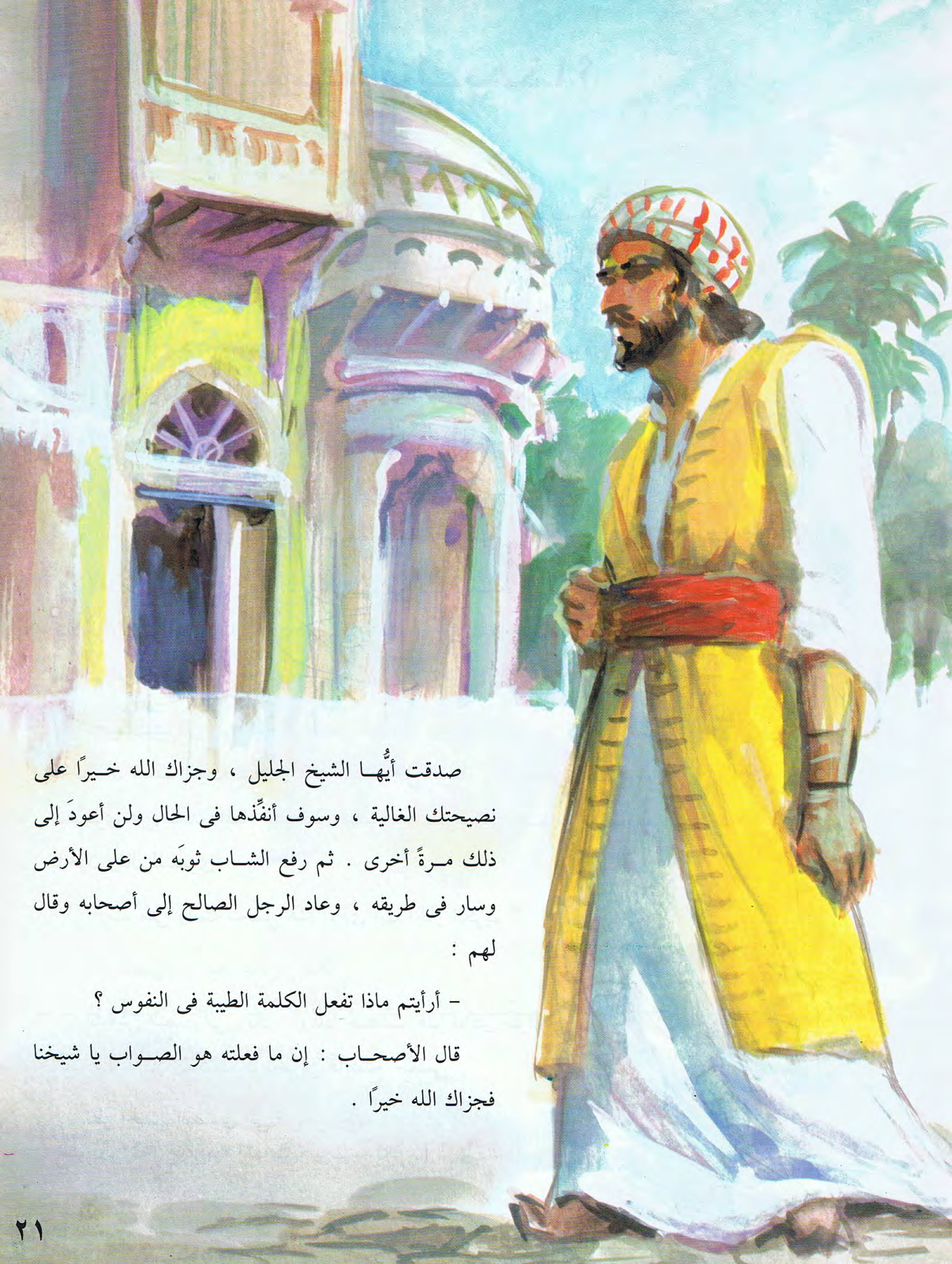
وذهب الشيخ الصالح إلى الشاب وألقى عليه السلام ، ثم قال له :

يا بنى ، لى عندك حاجة أريد أن تقضيها لى ، فهل تفعل ذلك من أجلى ؟

ابتسم الشاب فى أدب وقال: أفعل إن شاء الله إذا كان بإمكانى . فأخبرنى بحاجتك .

قال الشيخ : حاجتى يا بنى أن ترفع ثوبك من على الأرض حتى يظل نظيفًا طاهرًا .

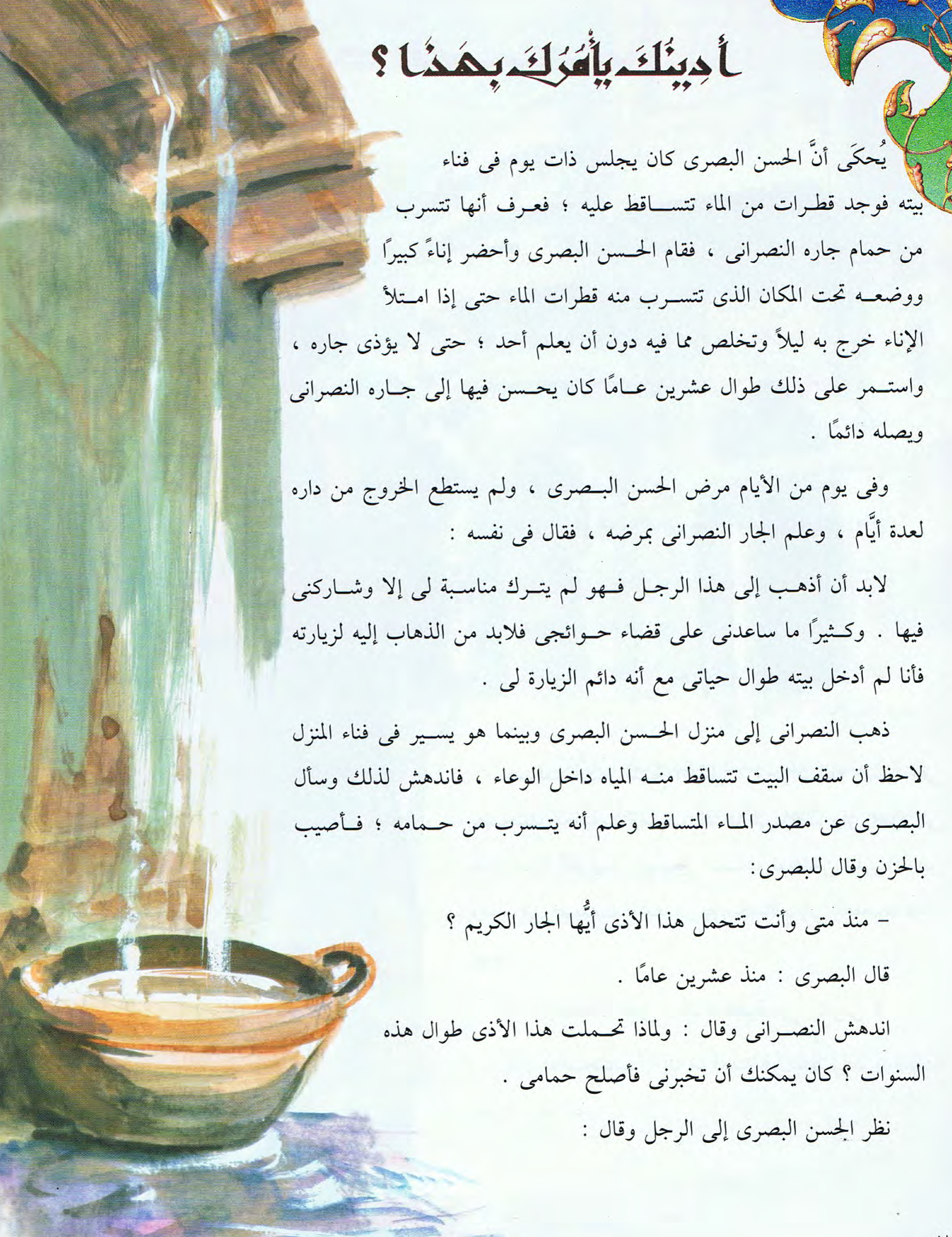
طأطأ الشابُ رأسه خجلاً ثم قال :



صدقت أيُّها الشيخ الجليل ، وجزاك الله خيرًا على نصيحتك الغالية ، وسوف أنفِّذها فى الحال ولن أعودَ إلى ذلك مرةً أخرى . ثم رفع الشاب ثوبَه من على الأرض وسار فى طريقه ، وعاد الرجل الصالح إلى أصحابه وقال لهم :

- أرأيتم ماذا تفعل الكلمة الطيبة فى النفوس ؟

قال الأصحاب : إن ما فعلته هو الصواب يا شيخنا فجزاك الله خيرًا .



أدينك يأمرك بهذا ؟

يُحكَى أنَّ الحسن البصرى كان يجلس ذات يوم فى فناء بيته فوجد قطرات من الماء تتساقط عليه ؛ فعرف أنها تتسرب من حمام جاره النصرانى ، فقام الحسن البصرى وأحضر إناءً كبيرًا ووضعه تحت المكان الذى تتسرب منه قطرات الماء حتى إذا امتلأ الإناء خرج به ليلاً وتخلص مما فيه دون أن يعلم أحد ؛ حتى لا يؤذى جاره ، واستمر على ذلك طوال عشرين عامًا كان يحسن فيها إلى جاره النصرانى ويصله دائمًا .

وفى يوم من الأيام مرض الحسن البصرى ، ولم يستطع الخروج من داره لعدة أيَّام ، وعلم الجار النصرانى بمرضه ، فقال فى نفسه :

لابد أن أذهب إلى هذا الرجل فهو لم يترك مناسبة لى إلا وشاركنى فيها . وكثيرًا ما ساعدنى على قضاء حوائجى فلابد من الذهاب إليه لزيارته فأنا لم أدخل بيته طوال حياتى مع أنه دائم الزيارة لى .

ذهب النصرانى إلى منزل الحسن البصرى وبينما هو يسير فى فناء المنزل لاحظ أن سقف البيت تتساقط منه المياه داخل الوعاء ، فاندهش لذلك وسأل البصرى عن مصدر الماء المتساقط وعلم أنه يتسرب من حمامه ؛ فأصيب بالحزن وقال للبصرى:

- منذ متى وأنت تتحمل هذا الأذى أيُّها الجار الكريم ؟

قال البصرى : منذ عشرين عامًا .

اندهش النصرانى وقال : ولماذا تحملت هذا الأذى طوال هذه السنوات ؟ كان يمكنك أن تخبرنى فأصلح حمامى .

نظر الحسن البصرى إلى الرجل وقال :



- كيف أخبرك وأنا أعلم جيدًا أنه سيكلِّفك ما لا تطيق ، وأنا لا أريد أن أجرح مشاعرك إذا لم تستطع إصلاح هذا الخلل . فآثرت كتمان الأمر حفاظًا على حسن الجوار وتحمَّلْتُ ذلك وأنا راضى النفس؛ لأن دينى يأمرنى بذلك .

سُرَّ النصرانى من كلام الحسن البصرى وقال له : إن كان دينك يأمرك بهذا فهو دين أحق بأن يُتَّبَع . ثم أعلن إسلامه أمام الحسن البصرى .

أوفى من السَّموءل

يُحكَى أنَّ امرأ القيس أراد الذهاب إلى قيصر الروم ؛ ليطلب مساعدته على حرب أعدائه . وقبل أن يسافر أراد أن يضع ما عنده من دروع وسلاح عند رجل يستطيع الحفاظ عليها من السرقة أو الضياع .

وفكر امرؤ القيس كثيرًا واستقر رأيه على رجلٍ يسمى السموءل بن عادياء وكان معروفًا بالوفاء والصدق ، فذهب امرؤ القيس إلى السموءل وترك عنده ما يملكه من عتاد ثم مضى إلى قيصر الروم .

وتمر الأيام والشهور ولا يعود امرؤ القيس إلى السموءل لأخذ وديعته ، وتصله الأخبار بأنَّ امرأ القيس قد قتل مسمومًا ، وأنَّ ملكَ الحيرةِ أكثر ملوك العرب عداءً لامرئ القيس قد علم بأمر الوديعة وأنه يريدها لنفسه .

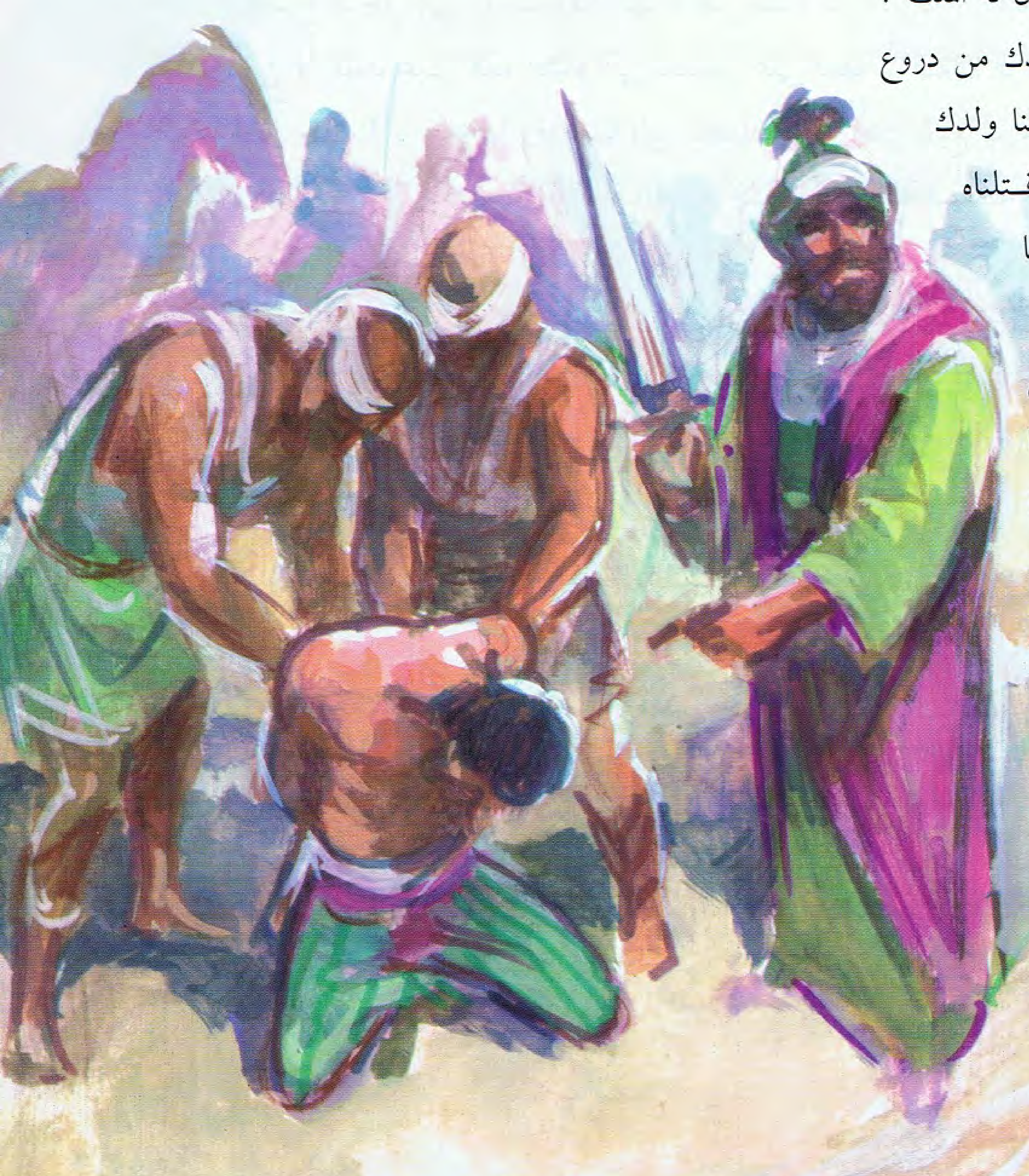
ويرفض السموءل الانصياع لأمر الملك .ويقول لرسوله :



والله لن أخون الأمانة أبدًا ، ولن أدفعها إلا إلى ابنته أو ورثته .

ويُجَنُّ جنونُ الملكِ ويصمم على أخذ الدروع والسلاح والانتقام من السموءل ؛ فيسير على رأس جيشٍ كبيرٍ قاصدًا السموءل الذى يعلم بالأمر فيأمر أولاده بالدخول إلى الحصن ليحتموا به ، ويدخل الأبناء الحصن ما عدا واحدًا . ويصل الجيش إلى الحصن ويحاول اقتحامه ولكنَّه لا يستطيع ، وقبل أن يعود الملك خائبًا فوجئ بأحدِ الجنودِ يخبره بأنَّهم قبضوا على أحد أبناء السموءل خارج الحصن.

وتهلل وجه الملك وأحس بأنَّ ماخرج من أجله قد تحقق ولن يعود خائبًا . فأمسك الولد ونادى على السموءل من خارج الحصن فنظر إليه فرأى ابنه وقد أمسك به الجنود ؛ فارتعدت فرائسه خوفًا على حياة ابنه ولكنَّه ظل متماسكًا فقال له الملك :



- إن أعطيتنا ما عندك من دروع وسلاح لامرئ القيس تركنا ولدك ورحلنا عنك ، وإن أبيت قتلناه أمام عينيك . فاختر ما شئت .

وتحيَّر السموءل ، فهل يدع ولده يُقْتَل بيد هذا الظالم ، أم يسلم ما استؤمن عليه ويصبح مضيِّعًا للأمانة ، ويفيق السموءل من تفكيره ويخاطب الملك والدموع تنهمر من عينيه قائلاً :

- افعل ما شئت فلن أخون الأمانة أبدًا .

ويقوم الملك بذبح الولد أمام أبيه ويصبح السموءل مضربًا للمثل فى الأمانة والوفاء .

الوفاءُ بالعهدِ

يُحكَى أن النعمان بن المنذر خرج يومًا للصيد فرأى غزالا شاردًا فأسرع نحوه ، وما إن رآه الغزال حتى فر هاربًا فتبعه الملك وظل يطارده حتى وجد نفسه فى مكان لا يعرفه ولم يستطع العودة إلى قصره . ووجد نفسه وحيدًا فى الصحراء وظل يجوبها بحثًا عن أحد يرشده حتى وجد كوخًا فأسرع إليه فوجد به رجلا فقيرًا فسأله عن شىء يأكله . فأسرع الرجل إلى زوجته وقال لها : هل عندنا شىء يؤكل ؟ فقالت الزوجة : لا . ونحن لا نملك غير هذه الشاة التى نعيش على لبنها . فقال الرجل : فهاتها فضيفنا أحق بها منا . فذبحها وقدمها إلى النّعمان فأكل حتى شبع ثم سأله عن قصر النعمان فأرشده . وازداد إعجاب النعمان بالرجل وأخبره بحقيقته فارتبك الرجل وأحس بأنه لم يؤد واجبه تجاه الملك فقال له :

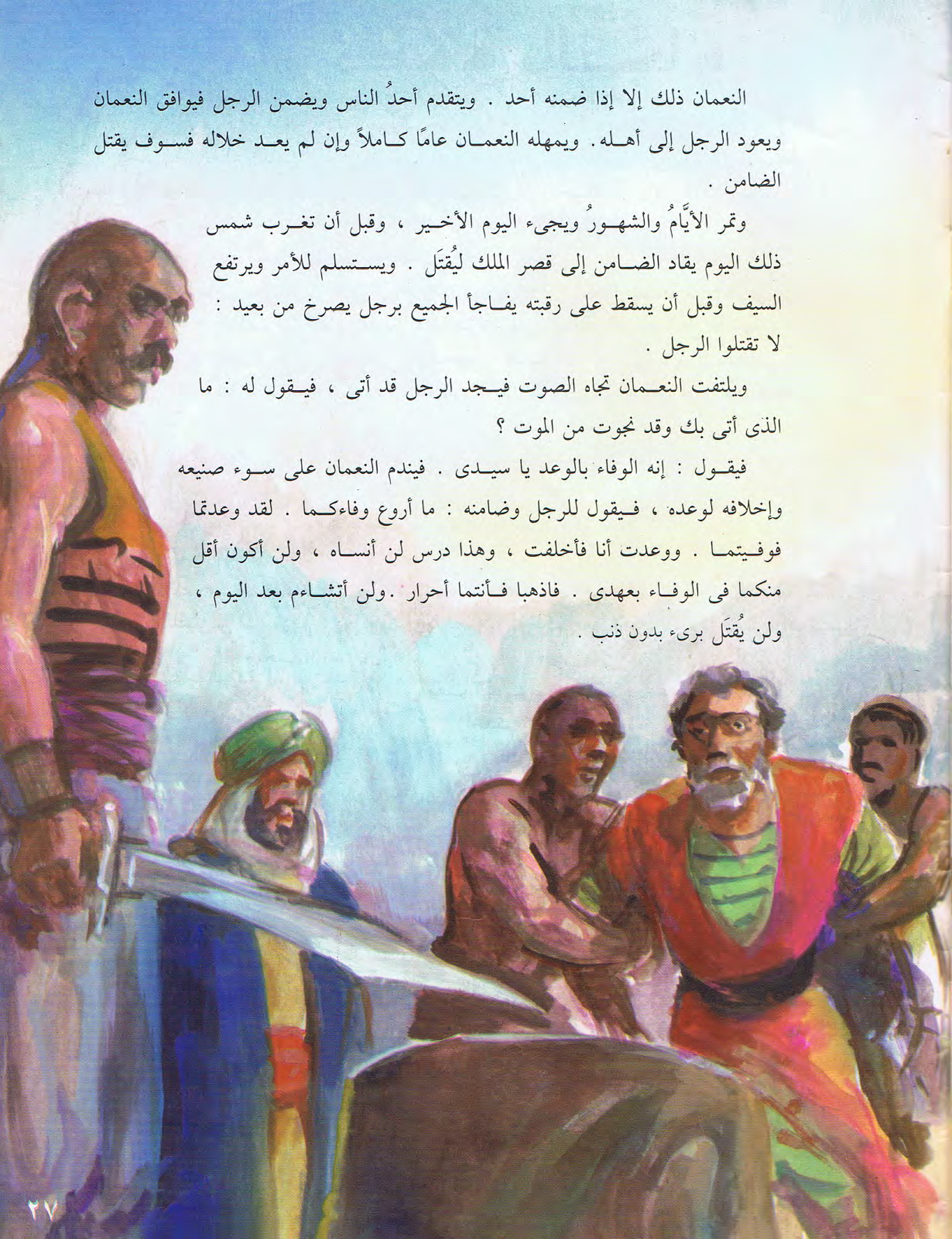
معذرةً يا سيدى ، إن كنت قصرت فى حقك ؛ فلو كان لدى أكثر مما قدمت لفعلت .

ابتسم النعمان إعجابًا بالرجل وقال : لقد فعلت أكثر مما ينبغى ولابد من مكافأتك على كرمك وجودك فاطلب ما شئت ، وسوف أحققه لك .

فكر الرجل قليلا لكنَّه سرعان ما قال للنعمان : أرجو أن تؤجل لى حاجتى حتى أطلبها يا سيدى .

فوافق النعمان وعاد إلى قصره وهو يحمل ذكرى هذا الرجل الكريم .

وتمر الأيام والشهور ويصاب الرجل بالفقر والقحط ولا يجد ما يعينه هو وأسرته ، وتذكر وعد النعمان له فذهب إليه . ولكنه فوجئ بحراس القصر يمسكون به ليقتلوه . ويسأل الرجل عن السبب فيعلم أن هذا اليوم يتشاءم فيه الملك ويقتل كل من يدخل عليه ، ويدخل الرجل على النعمان ويتأكد من الأمر ؛ فترتعد فرائسه ويقول فى نفسه : أهكذا يكون الوفاء بالعهد ورد الجميل ؟ ماكنت أظن أنَّ هذه هى أخلاق الملوك . ثم يستسلم للأمر ويطلب من الملك أن يأذن له بتوديع أهله قبل أن يموت . فيرفض



النعمان ذلك إلا إذا ضمنه أحد . ويتقدم أحدُ الناس ويضمن الرجل فيوافق النعمان ويعود الرجل إلى أهله . ويمهله النعمان عامًا كاملاً وإن لم يعد خلاله فسوف يقتل الضامن .

وتمر الأيَّامُ والشهورُ ويجىء اليوم الأخير ، وقبل أن تغرب شمس ذلك اليوم يقاد الضامن إلى قصر الملك ليُقتَل . ويستسلم للأمر ويرتفع السيف وقبل أن يسقط على رقبته يفاجأ الجميع برجل يصرخ من بعيد : لا تقتلوا الرجل .

ويلتفت النعمان تجاه الصوت فيجد الرجل قد أتى ، فيقول له : ما الذى أتى بك وقد نجوت من الموت ؟

فيقول : إنه الوفاء بالوعد يا سيدى . فيندم النعمان على سوء صنيعه وإخلافه لوعده ، فيقول للرجل وضامنه : ما أروع وفاءكما . لقد وعدتما فوفيتما . ووعدت أنا فأخلفت ، وهذا درس لن أنساه ، ولن أكون أقل منكما فى الوفاء بعهدى . فاذهبا فأنتما أحرار . ولن أتشاءم بعد اليوم ، ولن يُقتَل برىء بدون ذنب .

طَوْقُ النَّجَاةِ

يُحكَى أنّ العالمَ الفقيه « أبا يزيد البسطامىّ » حينما أراد الذهاب إلى بغداد لتلقِّى العلم - فى مطلع شبابه - أوصته أمُّه بأن يلتزم الصدق فى كل أمور حياته ، وألا يكذب أبدًا مهما كانت الأسباب ، وطلبت منه أن يعاهدها على ذلك ، ففعل ، ثم أعطته أربعين دينارًا ، هى كل ما تبقى من ميراثه من أبيه ؛ لينفق منها على رحلته .

خرج البسطامى مع قافلة كانت فى طريقها إلى بغداد ، وقطعوا مسافة من الطريق ، ثم خرج عليهم جماعة من اللصوص قطاع الطريق ، واستولوا على القافلة ، ونهبوا كل ما فيها ، ثم أخذوا يفتشون أفراد القافلة ويستولون على ما معهم . فلما جاء دور أبى يزيد البسطامىّ قال أحد اللصوص: إن هيئته توضح حاله ، وتكشف فقره ، فإنَّ ثيابه قديمة ممزقة ، ولو كان معه شىء من المال لأصلح به من شأنه .

فقال آخر للبسطامى : أنت أيُّها الشاب لا تضيع وقتنا بتفتيشك ، فهل معك شىء من المال

فقال : نعم .

فضحك اللصوص ، وتعالت ضحكاتهم وقال أحدهم : وكم معك ؟

قال : معى أربعون دينارًا .

فسخر اللصوص منه وقالوا : فقير أبله ، وإنه يحلم بأن يكون صاحب مال حتى لو سُرق منه بعد ذلك .

وقال اللصوص لبعضهم : اتركوه ، ولا تضيعوا وقتكم معه ، فإن كبيرنا يقف هناك ينتظرنا ويجب أن نسرع إليه .

ذهب اللصوص إلى كبيرهم فسألهم بقوله : هل أخذتم كل ما فى القافلة ، وفتشتم من فيها ؟

قالوا : نعم ، لقد استولينا على كل شىء فيها، وأخذنا كل ما كان مع الرجال ، وفتشناهم جميعًا إلا رجلاً واحدًا نحسبه أبله ، فقد سألناه عما معه فأجاب بأن معه أربعين دينارًا ، مع أن علامات الفقر بادية عليه ، فتركناه استهزاءً به ، واحتقارًا لشأنه، فلو كان معه درهم واحد لما أخبرنا عنه .

فقال كبيرهم : ائتونى به لأرى ما الذى دفعه إلى ذلك .

ذهب اللصوص وأحضروا البسطامى أمام كبيرهم فقال له : هل معك مال أيُّها الشاب ؟

قال البسطامى : نعم ، معى أربعون دينارًا .

فقال كبير اللصوص : وأين هى ؟

وضع البسطامى يده فى جيبه ، وأخرج منها الدنانير، وقدمها لكبير اللصوص وقال : هاهى .

فتعجب كبير اللصوص وقال له مدهوشًا: هل





أنت مجنون أيُّها الشاب ؟! كيف ترشد إلى نقودك ، وتعطيها لى باختيارك ورضاك وأنت تعلم أننى سآخذها منك ولن أعطيها لك ثانية ؟!

فقال له : لقد أخذت على نفسى عهداً ألا أكذب أبداً مهما كانت الظروف وأنا لا أنقض العهد .

فقال كبير اللصوص : لا حول ولا قوة إلا بالله ، والله لقد ضيَّعنا حياتنا فيما يغضب الله ، ويؤذى الناس ، وأنت أيها الشاب تخاف أن تنقض عهداً أخذته على نفسك ، ونحن لا نخاف أن نخون عهد الله !! والله لن أعود إلى السرقة أبداً بعد ذلك ، وسوف أتوب إلى الله ، وأعمل من أجل خير المسلمين ، لعل الله يغفر لى ويقبل توبتى .

فقال اللصوص لكبيرهم : لقد تبعناك فى المعصية ، ولن نتركك فى التوبة فأنت كبيرنا فى قطع الطريق ، واليوم أنت كبيرنا فى التوبة إلى الله ، ولن نعود إلى ذلك أبداً .

وأعاد اللصوص كل ما سلبوه من القافلة وأعطوا الناس أشياءهم وتابوا إلى الله ، ومضت القافلة فى طريقها إلى بغداد .

ابن الأكرمين

يُحكَى أن رجلاً من أهل مصر ذهب إلى عمر بن الخطاب فى المدينة أيَّام كان خليفة للمسلمين وقال له : يا أمير المؤمنين جئت إليك شاكيًا ، وأريد أن تأخذ لى حقى .

فقال أمير المؤمنين عمر : مم تشكو أيها الأخ الكريم ومَنْ ظلمك ؟

- إننى أشكو والى مصر عمرو بن العاص وابنه لأنهما ظلمانى .

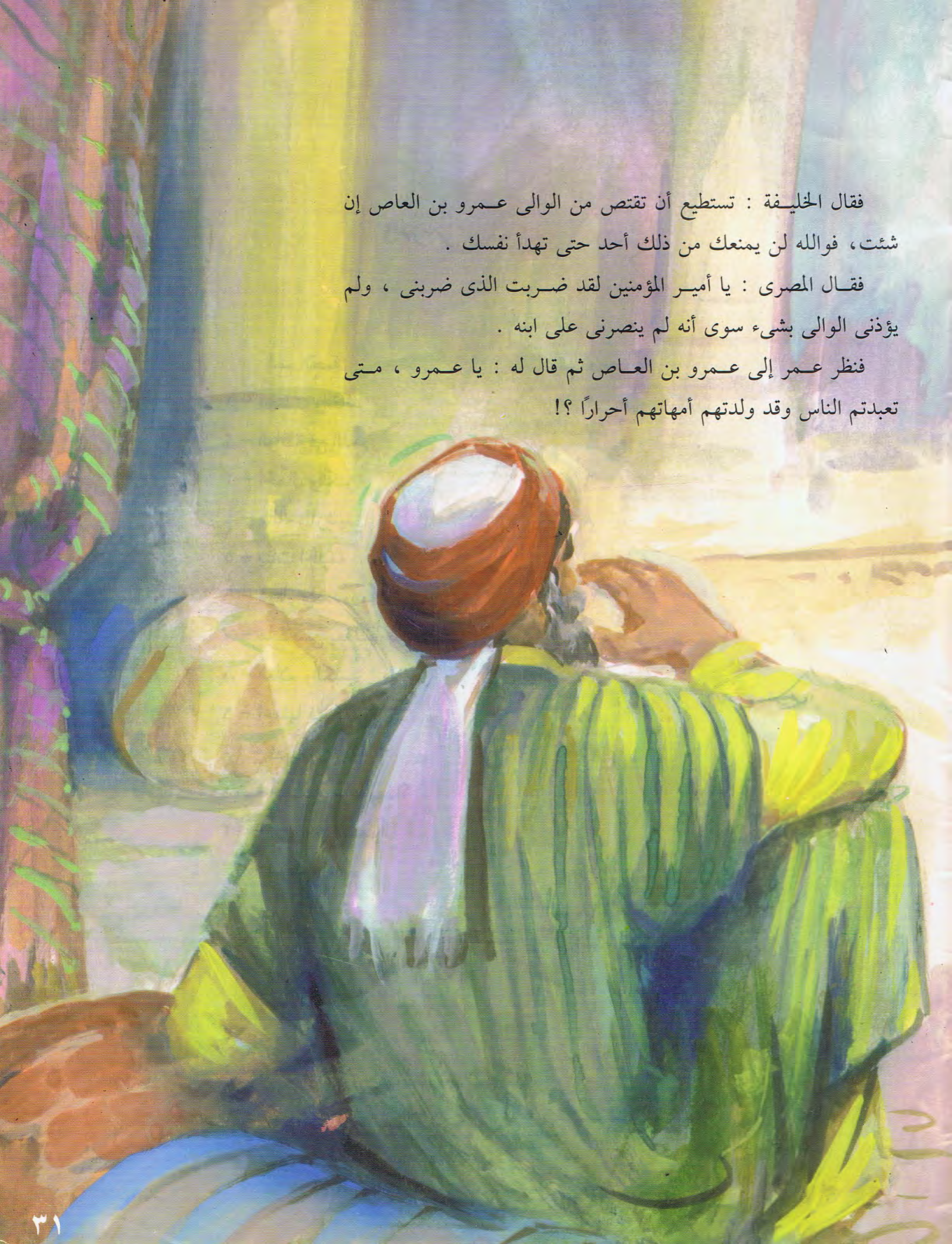
- وكيف ذلك ؟

- تسابقت مع ابن عمرو ، فسبقته بفرسى ، فأخذ يضربنى بالسوط ، ويقول لى : أنا ابن الأكرمين ، فكيف تسبقنى ؟

غضب عمر غضبًا شديدًا ، وقال للرجل : انتظر معنا - هنا بالمدينة - حتى يبدأ موسم الحج ، وسوف آخذ لك حقك إن كنت صادقًا . ثم أرسل عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص رسالة يقول له فيها : عليك أن تشهد موسم الحج هذا العام ومعك ابنك .

فلما حان موعد الحج حضر عمرو بن العاص ومعه ابنه إلى المدينة فى جماعة من أهل مصر ، وانتظر عمر بن الخطاب حتى انتهى الحج ، ثم أرسل فى طلب المصرى ، وكذلك عمرو بن العاص وابنه ، وعدد من أهل مصر الذين جاءوا للحج ، وعدد من الصحابة ، وسأل عمر الحجاج المصريين عما حدث بين ابن عمرو وبين هذا الرجل المصرى ، فشهدوا بصدق حديث المصرى ، فقام عمر ، وأعطى الرجل المصرى « سوطًا » ثم قال له : خذ حقك ، واضرب ابن عمرو كما ضربك . . اضرب ابن الأكرمين .

فقام المصرى ، وتقدم نحو ابن عمرو ، وظل يضربه « بالسوط » ضربًا مبرحًا حتى أثر ذلك فى جسد ابن عمرو ، ثم قال المصرى : الآن هدأت نفسى ، وأخذت حقى ، وتساويت مع ابن الوالى .



فقال الخليفة : تستطيع أن تقتص من الوالى عمرو بن العاص إن شئت، فوالله لن يمنعك من ذلك أحد حتى تهدأ نفسك .

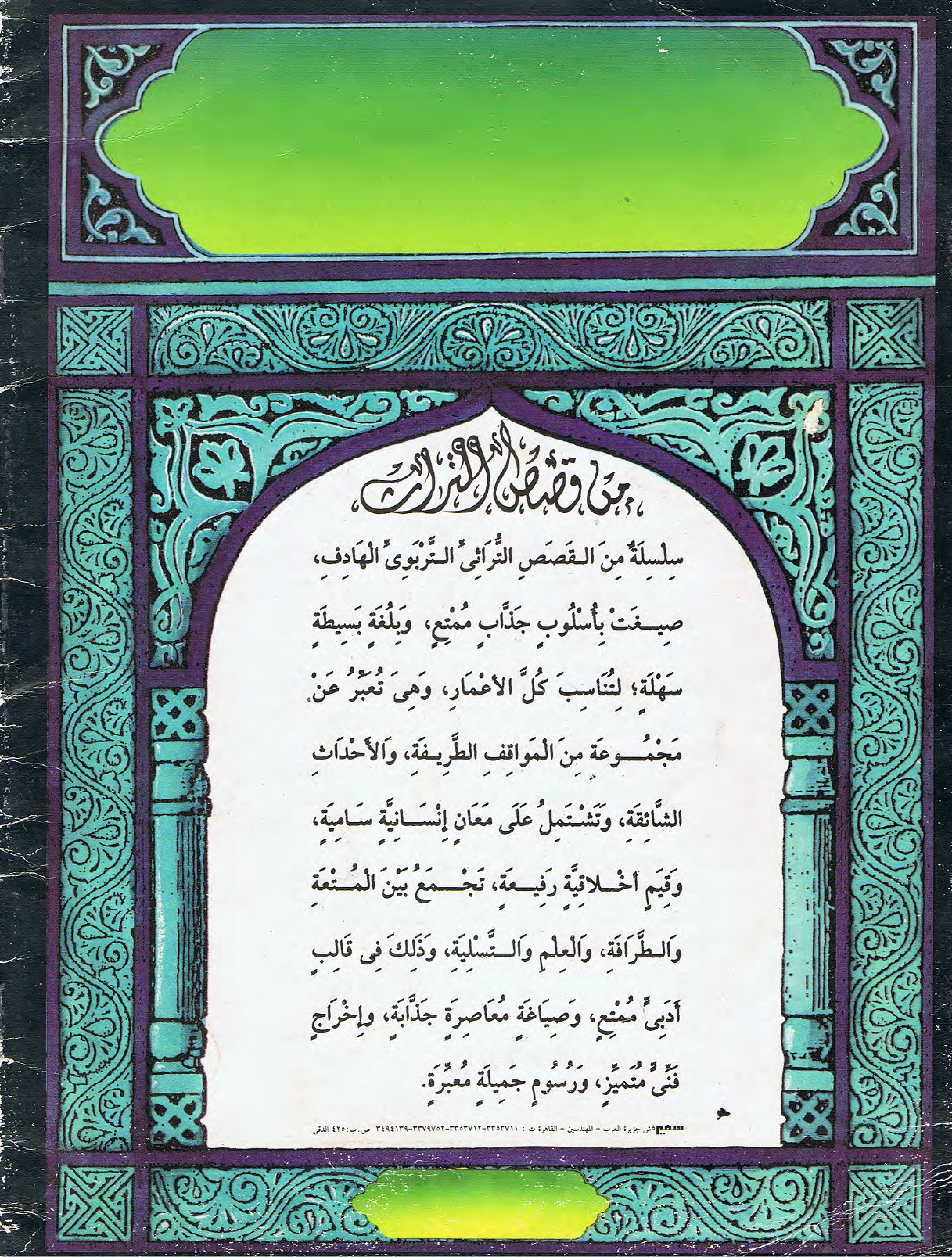
فقال المصرى : يا أمير المؤمنين لقد ضربت الذى ضربنى ، ولم يؤذنى الوالى بشىء سوى أنه لم ينصرنى على ابنه .

فنظر عمر إلى عمرو بن العاص ثم قال له : يا عمرو ، متى تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً ؟!

الفهرست

رقم الإيداع : ٤٣٦٠ / ٩٥

الترقيم الدولى : I. S. B. N.: 977 - 261 - 405 - 7


من قصص التراث
سِلسِلَةٌ مِنَ القَصَصِ التُّراثِيِّ التَّربَوِيِّ الهادِفِ،
صِيغَتْ بِأُسلُوبٍ جَذّابٍ مُمْتِعٍ، وبِلُغَةٍ بَسِيطَةٍ
سَهْلَةٍ؛ لِتُناسِبَ كُلَّ الأعمارِ، وهِيَ تُعَبِّرُ عَنْ
مَجْمُوعَةٍ مِنَ المَواقِفِ الطَّرِيفَةِ، والأحداثِ
الشّائِقَةِ، وتَشْتَمِلُ عَلَى مَعانٍ إنْسانِيَّةٍ سامِيَةٍ،
وقِيَمٍ أخْلاقِيَّةٍ رَفِيعَةٍ، تَجْمَعُ بَيْنَ المُتْعَةِ
والطَّرافَةِ، والعِلْمِ والتَّسْلِيَةِ، وذَلِكَ فِي قالِبٍ
أدَبِيٍّ مُمْتِعٍ، وصِياغَةٍ مُعاصِرَةٍ جَذّابَةٍ، وإخْراجٍ
فَنِّيٍّ مُتَمَيِّزٍ، ورُسُومٍ جَمِيلَةٍ مُعَبِّرَةٍ.
سفير ٥ش جزيرة العرب - المهندسين - القاهرة ت : ٣٣٥٣٧١١-٣٣٥٣٧١٢-٣٣٧٩٧٥٢-٣٤٩٤١٣٩ ص.ب: ٤٢٥ الدقي